الحقيقة البراغماتية بين الاعتقاد والعمل

(شارل سندرس بورس نموذجا)

د. حيرش سمية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة وهران

"إذا كان على البراغماتية أن تجعل من الفعل وحده جوهر الكائن الإنساني وهدفه الأسمى، فإنها ستحكم بذلك على نفسها بالإعدام، لأن ذلك سيعني أنه لا وجود لأي سلوك عقلاني". (ش.س.بورس).[1]

اشتهرت الولايات المتحدة الأمريكية، بالفلسفة البراغماتية ، التي يعد "شارل سندرس بورس" "Charles Sanders Peirce" (ت1914) أول رائد لها، فالبراغماتية توصف بأنها "فلسفة الديمقراطية الأمريكية"[2]، وبأنها فلسفة العصر الذهبي لأمريكا،المتأثرة بالمبادئ السبعة عشر الشهيرة التي تحكم، منذ الاستقلال[3](1770)، الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية الأمريكية.

كما توصف هذه الفلسفة بفلسفة النجاح والأثر المتولدين عن العقل وعن التجربة. مما يحملانه من مبادئ خاصة بالنسبة للحرية وللعمل وللمبادرة وللعقيدة، من هنا كان شعار هذه الفلسفة الفاعلية والأثر كمعيارين لكل حقيقة ولكل عمل.

لذلك جاءت البراغماتية البيرسوية معبرة عن الواقع الاجتماعي الخاص بأمريكا، المتعددة الأجناس والعقائد، والثقافات والحضارات، التي شكلت الأسس الأولى لما يسمى بالعالم الجديد.

لقد جاءت هذه البراغماتية كفلسفة معبرة،وإلى حد كبير ، عن الواقع الاجتماعي والثقافي والديني الذي بناه أولئك المهاجرين وعن أبعاده الإنسانية منها، والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والعقائدية والثقافية المتميزة.

بذلك كانت البراغماتية أقرب فلسفة إلى المواطن الأمريكي المسكون بهاجس التفوق والنجاح والقوة المادية خاصة.

إن هذه المكانة التي تحتلها البراغماتية في الفكر وفي الحياة الأمريكية لا تزال فاعلة، بالرغم من انصراف حتى من الشباب الأمريكي اليوم عنها.

تعرف البراغماتية، بأنها نظرية أمريكية تجريبية في المعرفة، كما تعرف أنها الفلسفة الأولى والوحيدة، حتى الآن، التي يلعب فيها الفعل وآثاره العملية دورا سياسيا.

ينطلق "شارل بورس" من القول أنه، لكي نمسك بفكرة ما أو شيء ما، فإنه يجب أن نحدد أي آثار عملية يمكن أن تتولد ...عن مثل تلك الفكرة أو عن ذلك الشيء أو الفعل الذي هو في النهاية مجموع آثاره ونتائجه[5].

فالبراغماتية، منهج وليس فلسفة، يرى أن حقيقة أي شيء أو فكرة انما تتمثل في الآثار العملية المتولدة عنه هي مجموع آثاره، فالحقيقة تتمثل في النجاح، أو الأثر، الفعلي، العملي، أو المعنوي، الذي تولده فكرة ما أو معرفة ما أو شيء ما، أو يقين ما.

تعني البراغماتية في معناها الأصلي والمشتقة من الكلمة اليونانية "براغما " (Pragma)،[6] شيء أو فعل أو الأثر أو المعنى معنويا كان أو ماديا الذي تولده أو تتركه الفكرة فور تحولها إلى عادة أو سلوك بمجرد حصولها على الاعتقاد المفضية إلى ترسيخه، فكل ما يقدم أو يقال في الأخير بالنسبة لهذا المذهب البراغماتي من حقائق، يجب أن تقود إلي تجربة ذات نتائج عملية وإلا فليس له معني" فكرتي عن شيء هي فكرتي عن آثاره المحسوسة".

فهي ترى أن كل اعتقاد يهدف إلى الحقيقة، كما ترى البراغماتية أن الاعتقاد بالتالي انما هو العمل وفقا لتلك الحقيقة .

بذلك ربط بورس، الحقيقة المتولدة عن الاعتقاد، بالفاعلية ...والأثر بالعملي الذي نولده من خلال السلوك يجعل من الفاعلية والأثر بدلا للحقيقةويحول بالتالي هذه الأخير إلي أداة ومفسرة (للفاعلية).. لأن الحقيقة لكي تكون مقبولة يجب أن تؤكد أولا وعمليا مثل تلك الفاعلية والأثر اللتين نعلم أنها لا تكتسبها عن طريق الحدس أو العقل بل عن طريق المعني الموضوعي الذي تؤكده التجربة (L'expérience) العملية اتجاه ذلك الواقع.

فالاعتقاد في الفلسفة الأمريكية لا يعني الوفاء للحقيقة والالتزام بها، وتوجيه الحياة كلها في ضوء تلك الحقيقة، بل إنه يعني الإيمان بقدرة العقل على التكيف العملي مع الواقع الذي نصنعه ونتكلم بدلا عنه. هكذا سيأخذ "بورس" عن "باركلي" (J.Berkeley) (ت1753)، تلك الحقيقة التي تقول، أن الواقع، ليس فقط، هو كل ما نفكر ولكنه ذلك الذي لا يتأثر بمثل ذلك التفكير من طرفنا فيه، بل هو أيضا كل ما لا نفكر فيه، كما سيأخذ عن "السفسطائيين" (Les sophistes) قولهم أن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات، وأنه لا وجود لمقياس كلي للحقيقة، ولا وجود لحقيقة موضوعية، يمكن الرجوع إليها، فالحقيقة مما رأوا مرتبطة بنا ولا وجود لها بالتالي خارجنا. كما سيؤكد ذلك بورس وغيره من رموز البراغماتية .

من هنا الفرق بين ادعاء أو توهم الاعتقاد والاقتناع والوصول إلى الحقيقة ومن الاعتقاد الحقيقي الذي يظل الفعل المجسد له المعيار الأول لصدقه ولصحته.لأن كل معرفة لا تخرج عن دائرة الآراء والأفكار التي نكونها، أو نستخلصها، انطلاقا، من وعينا بذاتنا أولا،وبالواقع المتواجدين فيه بعد ذلك، وذلك عن طريق كل من الحس (sens) والإحساس(sensation) والحس المشترك (communsens)، فإنها أولا وقبل كل شيء أفكار هادفة إلي التعامل العملي مع ذلك الواقع.

لذلك كانت البراغماتية البورسوية خاصة أساسا منهجا أساسه الأول المعني وليس فقط العمل أو الفاعلية.(7)

ذلك يعني أن الحقيقة ليست تأمل ونظر، بل إنها قبل كل شيء نشاط وعمل والهادفة أساسا إلى تكييف سلوكنا باستمرار مع الواقع الذي نصنعه من خلال توليدنا لعادات ذهنية ملائمة له واعتقادات متجددة أثبتت التجربة فاعليتها إلى تكوين عادة واستعدادات للفعل.

الاعتقاد ضروري للإنسان، فإن أحدا لا يستطيع أن يحيا على الشك أو الإنكار التام بل لابد في لحظة من لحظات حياته أن يقلع عن الشك ، لكي يؤمن بحقيقة أو حقائق قام البرهان عمليا على صحتها في نظره، ليحل الإيمان أو الاعتقاد محل الشك، نقيض اليقين الذي هو حال العقل المؤمن بامتلاك الحقيقة المطابقة للواقع.هذا الموقف هو الذي جاء به الإسلام بدوره وذلك من خلال ربطه بين الاعتقاد وبين الفعل، بين الإيمان وبين العمل.

لكل ذلك كانت الحقيقة موضوع الاعتقاد عند البراغماتية البيرسوية هي الفعل والفاعلية، خاصة بعد ربط الحقيقة بأثرها العملي والملموس في الواقع .... فالإيمان بحقيقة نهاية عقيدة لا تعرفها البراغماتية وأن مدلول الفكرة، أيا كان موضوعها، هو نتائجها الفعلية التي تؤدي إليها. أما الشك فهو التردد والتشتت واليأس، أو هو الضعف الذي ينشأ عن فقدان الشعور الداخلي بالحقيقة .

بذلك تقيم البراغماتية حاجزا متجددا بين حقائقها وبين الدوغمائية من جهة وبين ادعاء اليقين والدقة والكونية المطلقة وهي الصفات التي يعترف "بورس" أنه يستحيل علي العقل ادعاء الوصول إليها. فكل معارفنا تظل تسبح في اللاوثوقية (الفيابيليزم) والغموض نظرا لامكانية نفيها مستقبلا. (8)

ولأن الشك كذلك فإن حله الحقيقي والموضوعي لا يكون في البداية عن طريق الاعتقاد، الذي يعني التسليم المبدئي باقتناع العقل بصحة الأشياء كما يتصورها، بل عن طريق الحقيقة المؤدية إلى كل اعتقاد، وذلك لسبب بسيط وهو أنه ليس صحيحا أن كل ما نعتقده هو حقيقي، فقد نعتقد فيما هو خطأ كما قد نعتقد فيما هو صواب،وذلك ما تؤكده بعض الاعتقادات الخاطئة، ولأن النتيجة الطبيعية للاعتقاد، المتولد عن الحقيقة الذاتية والموضوعية علي حد سواء هي اليقين، الحل الوحيد للشك ولانعدام التوازن النفسي والعقلي المتولد عنه.(9)

وهذا الاعتقاد الجديد العملي والصحيح حول تفسير هذه الفكرة أو هذا الشيء المدرك، إنما هو كذلك، لأنه يدفعني إلى السلوك العملي وفقه وصولا بالتالي إلي تأكيد صحة ذلك لأن الفكر هو السلوك ومهمته هي توليد هذا الأخير.

فمثلا حينما أري، لأول مرة شيئا خشبيا ذو شكل معين، فإني أعتقد بادئ ذي بدء، ومن خلال التجريد (L'abstraction)والاستدلال (L'inférence) بأنه شيء يستعمل للجلوس عليه .. أي أنه كرسي.

غير أن عدم التأكد التام من صحة مثل ذلك الاعتقاد حول ما أسميه بالكرسي، لا يلبث أن يشير في نوعا من القلق ومن عدم الارتياح النفسي لينتهي بي إلي فقدان لتوازني المعنوي والجسدي وذلك ما يسميه "بورس" وغيره بالشك البراغماتي، فإن مثلا حينما رأيت مثل ذلك المدرك، الذي سبقت الإشارة إليه، (الكرسي) واعتقدت أنه كرسي، فإنني لا أستطيع أن أجزم بصحة اعتقادي هذا إلا من خلال سلوكي العملي وفقه، أي من خلال الجلوس المتكرر فوق نفس الكرسي.

فالتجربة نتيجة أساسية للفكر، ولا يمكن تصور حياة أو فكر بدونها، ففكرتي عن حقيقة شيء ما، هي فكرتي عن الآثار الحسية معنوية كانت أو مادية التي يولدها ذلك الشيء .

فالاعتقاد الصحيح، فيما يري "بورس"، هو ذلك الذي يدفع بصاحبه إلي سلوك عملي يتماشي وموضوع اعتقاده، سلوك لا يلبث أن يتحول بالتالي بحكم التكرار إلي عادة، أي إلي استعداد مستمر لسلوكه العملي وفي ظروف معينة وفقا للاعتقاد الذي يعتبر مثل تلك العادة ثمرته الأساسية.

فإن معيار الحقيقة عند "بورس" هو الفاعلية و ليس مجرد الوضوح والتميز كما هو الحال عند ديكارت إنها تؤدي لدي "بورس" إلي فلسفة للمعني (sémiotique)،[10] المستخلصة من التجربة، معنوية كانت أو مادية والمؤدية إلي المعنى (Le sens) الذي يعد معيار كل معرفة ودليل صدقها وحركيتها وهو المعني الذي علينا تحديده وليس إضفاءه علي الواقع ومعطياته المتواجدة سلفا ليتحول تعامله معها، ومع الواقع المجسدة له إلي تعامل ايجابي وفعال...

وحين نحاول أخيرا الوقوف علي المفهوم البورسوي خاصة، والبراغماتي عامة لكل من الحقيقة، ومن الشك والاعتقاد المرتبطين بها، فإننا سنري أن الحقيقة تعني بالنسبة لهذا المذهب الفلسفي، ولمختلف رواده ورموزه الفكرة التي نكونها عمليا وتجريبيا عن الأشياء نظرا إلي أنه لا وجود لأي شيء بالنسبة لهذا المذهب، إلا من خلال الإنسان وبالنسبة إليه، كما سبق أن أكد ذلك بروتاغوراس.

كما سيؤكد ذلك بورس وغيره من رموز البراغماتية . بمعنى أن كل فرد محق في أن يجعل نفسه مقياسا للحقيقة. ولكن هذا لا ينفي أن البراغماتية تظل فلسفة سوفسوطائية، "وأنا وحدية" (Solipsiste)... تحصر الحقيقة لا في الموضوعية، بل في الذاتية وفي الرغبة الفردية التي لا تشكل معيارا أو طريقا لكل الناس نحوها. أنها لا تفصل بين النظر والعمل، بين الرغبة وبين الحقيقة، أو ما تري أنه كذلك.[11]

كما أنها لا تنفي الدين، أو تضاده كما أنها لا تلتزم به كثيرا وهذا طبيعي لأن الدين عند البراغماتية قضية فردية بالنسبة لفرد حر لا تحد حريته سوي حرية الآخر أو ضميره بعد ذلك، إن تحرك مثل هذا الضمير.

وذلك ما فعله "بورس" كذلك حين طابق بين الفكر وبين العالم وجعل قوانين الفكر هي ذاتها قوانين العالم أو الواقع، متناسيا أن الواقع لا يعرف كما قال لا يعرف إلا بالمعتقد من جهة، وقوله من جهة أخري، إن صحة معتقداتنا إنما تتم من خلال مقارنتها بالواقع؟ فكيف نقارن صحة معتقداتنا بواقع نحن لم نعرفه بعد؟ فلا يجوز أن نتخذه بالتالي معيارا للمعرفة، وإن كنا نعرف ذلك الواقع سلفا، فما الفائدة من التأكد من معتقداتنا حوله.

وذلك انطلاقا وكما ترى البراغماتية أن فكرتنا عن شيء ما هي إلا فكرتنا عن آثاره المحسوسة، فصفة المعرفة ليست الإدراك أو مدى مطابقة العقل للواقع، بل هي نشاط وعمل والحقيقة ليست مجرد انعكاس لجوهر الشيء، وتجسيدا لماهيته الداخلية، مثلما فعل "كانط"(E.Kant) (ت 1804م) عندما ربط، الحقيقة بظواهر الأشياء (Phénomènes)لا بكوامنها (Noumènes)، واعتبارها أن الحقيقة ليست معطي جاهزا، لا في الواقع، ولا في الفكر، وإنما هي تفاعل ديالكتيكي بين معطيات التجربة والمفاهيم العقلية. ولأنها كذلك فإنها ستظل ومهما بلغت درجة معرفتنا، نسبية ما دمنا نجهل حقيقة النومين (Noumènes)، أو الشيء في ذاته، شأنها في ذلك شأن كل القضايا الميتافيزيقية الأخرى (الروح، الوجود..الخ).

بل إن الحقيقة لا تعدو كونها حزمة من الإحساسات التي تبقى واقعا ذاتيا محضا لا يمت بأية صلة إلى طبيعة الأشياء الذاتية ، فالفرد لا يتعامل من خلال نشاطه وفاعليته إلا مع إحساساته وتصوراته، إلا مع حاجاته الضيقة والمحدودة. فالحقيقة من المنظور البراغماتي لا تخرج عن كونها ذات طابع "سوليبسيزمي" أنا وحدية، ليست سوى اعتقاد فردي أو جماعي "أن تعتقد هو أن تعمل وفقا لاعتقادك".[12]

الاعتقاد الذي لا يمت بأية صلة إلى العلم والمعرفة، الاعتقاد الذي لا يمتلك أي محك أو معيار له سوى نفعيته، أي نجاحه العملي (نجاح النتائج التي تنتج عن العمل بموجبه)، مما يدفعنا إلى التمسك به وترسيخه بفعل الإيمان و الوثوق به عن طريق العمل ، بما يولده مثل هذا الاعتقاد أو الفكرة من أثر مادي أو معنوي على سلوكنا..

بذلك يجعل بورس من الفعل وحده قاعدة أساسية وجوهرية لنشاط الفكر محولا بالتالي كل اعتقاداتنا وأحكامنا وتصوراتنا عن هذا العالم إلى مجرد أدوات عملية للتكيف الإيجابي والفعال مع هذا الواقع التي تصنعه، فدور الفكر هو توليد عادات ذهنية هي اعتقادات عملية تدفعنا كل مرة للتعامل الفعال والايجابي مع الواقع.

ولأن الشك البورسوي(نسبة إلي بورس)، يجعل بالتالي من الاعتقاد ومن الحقيقة ولمعرفة المتولدين عنه ظواهر غير ثابتة أو مطلقة، بل مؤقتة ونسبية.

فقد أشار شارل بورس رائد البراغماتية، للدور الذي لعبه الفكر البراغماتي أو الحقيقة البراغماتية منذ زمن، في دعمهما للديمقراطية الأمريكية، وخاصة لمفهوم الحرية حتى لا يفرغ من مضمونه، برفعها لشعار الفاعلية والأثر كمعيار للحقيقة وللعمل خاصة، وباعتبار هذا الفكر البراغماتي قد نجح أخيرا، في التوفيق والمزاوجة بين الدين وبين العمل.

من هنا تلتقي البراغماتية بالإسلام، وفي التعبير عنها عند "أبو حامد الغزالي" الذي سبق "بورس"في مفهومه للحقيقة باعتبارها فعل وفاعلية.

هذا الموقف هو الذي جاء به الإسلام بدوره وذلك من خلال ربطه بين الاعتقاد وبين الفعل، بين الإيمان وبين العمل، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾. [13]

كما أشار "شارل بورس" في مقاله "تثبيت الاعتقاد"و"كيف نجعل أفكارنا واضحة" إلى تلك المقاربات الصوفية التجريبية الذي سبق "الغزالي" فيها "شارل بورس" ممن اتخذوا الشك طريقا للاعتقاد الديني وللإيمان وللعمل، ومن خلال الدين أن الاعتقاد في الدين، أيا كان، يجب أن يصل عمليا، بصاحبه إلى الله من خلال تأثيره الإيجابي في سلوك الفرد. [14]

"فالمعرفة دون العمل ضرب من العبث والجنون كما يقول "أبو حامد الغزالي"، والفعل دون المعرفة يبقى مستحيلا "وهي مقولته التي تعني بأن الاعتقاد في الدين يدفع إلى العمل، ولأن البراغماتية الفلسفة الوحيدة التي استطاعت أن توفق بين الإيمان (الديني) خاصة وبين العمل، حيث عاد" بورس "إلى الدين وإلى التصوف ليقول أن الزهد هو الذي يؤدي بنا إلى الاعتقاد وإلى ترسيخ الإيمان والعمل، فلا بد أن ننتظر دائما قبل أن نعتقد حتى نجد ما يبرر حسيا وعمليا مثل هذا الاعتقاد، وإذا لم يكن لمثل هذه الأدلة من وجود، فلا نمتلك مبررا سوى العزوف عن ما يمليه علينا هذا الاعتقاد من سلوك . ليس لك أن تعتقد في شيء من غير أن يكون لهذا الشيء ما يعبر عنه سلوكك عمليا.

فالبراغماتة ترى أن حقيقة أي شيء هي مجموع آثاره وأنها كامنة في التجربة الإنسانية وأنها الأثر التي تحدثه الفكرة، فور تحولها إلى عادة وبمجرد حصولها على الاعتقاد المفضية إلى ترسيخه، لأن الحقيقة تتمثل في الأثر والنجاح التي تولده فكرة ما أو معرفة ما، لأن الاعتقاد هو ما يبدأ الإنسان عنده بالفعل المجسد أو الاستعداد لمثل ذلك الفعل، فالفرد لا يؤمن بفكرة ولا يعتقد بصحتها إلا بقدر استعداده للنشاط وللعمل وفقها.[15]

إن ربط بيرس للحقيقة المتولدة عن الشك وعن الاعتقاد بالفاعلية... والأثر بالعملي الذي نولده من خلال السلوك يجعل من الفاعلية والأثر دليلا لمقياس صدق وقوة الإيمان بدلا للحقيقة.

ضمن هذا المنظور يري "بورس وغيره من رواد البراغماتية"، يرى "بورس" أن فكرة مجردة مثل فكرة اللهو الإيمان به تتحول إلى فكرة ذات معنى عملي، إذا كان التمسك بها يؤدي إلى نتائج عملية ايجابية وجديدة في سلوكي".

إن مثل هذا المفهوم المزدوج، الحسي والحدسي، والعقلي والروحي، الواقعي والمثالي، النظري والتجريبي للاعتقاد وللحقيقة المتولدتين عنه الذي وصل "بورس" إليهما بدوره مثلما وصل إليها الغزالي من قبل وبمثل هذا الإستلهام للحدس عند الغزالي، عمل بورس وبالتالي مثلما فعل الغزالي على الخروج بالإنسان وبوعيه من حالة الشك واللايقين المفرغين من كل محتوى وعلى الوصول به إلى الاعتقاد، الذي لا تصور لأي نشاط عملي للإنسان في حياته بدونه.

هكذا جاءت البراغماتية البورسوية بتلك الازدواجية، العقلانية والصوفية، التجريبية والروحية،الواقعية والمثالية، وهي الازدواجية التي كان "بورس "أو لمن أكد ضرورتها حين قال: " إن لمن تحول إلى زهاد...فكيف نرسخ الاعتقاد، لدى فرد واحد، فضلا عن كل المجتمع". [16]

وبذلك أيضا كانت البراغماتية، خاصة، والبراغماتية البورساوية عامة، ومن خلال امتدادها الفلسفية والنفسية والتربوية والروحية والسياسية الخ،الفلسفة الأمريكية الأولى والوحيدة التي نجحت في التوفيق، أو في المزاوجة بين التزعات المادية، ممثلة أساسا في الرأسمالية من جهة وبين التصور الديني للعالم وللكون، البروتستانتية، سليلة الليبرالية،من جهة أخري.

لهذا ظلت البراغماتية ومنذ نهايات القرن العشرين مقرونة لدى العديد من الأمريكيين ومن غير الأمريكيين ومن بينهم العرب، بالنجاح المادي الذي حققته أمريكا في مختلف الميادين . هذا بالإضافة إلى أنها كانت الفلسفة الوحيدة المتفائلة بالإنسان والمعبرة عن النجاح الإنساني اللامحدود بنجاح لا يلغي العقل من أجل العقيدة ولا هذه الأخيرة من أجل العقل، بل يوازن بينهما باستمرار.

بذلك تكون البراغمانية، من الفلسفات الأوائل التي ربطت الإيمان الفردي بالعمل، كما ربطت الديمقراطية الأمريكية والحقيقة بالفاعلية وربما أيضا القول بالعمل.باعتبار أن البراغماتية هي الفلسفة الوحيدة التي حتى اليوم ما زال يلعب فيها الفعل والأثر دورا سياسيا واقتصاديا وتقنيا، فالبراغماتية دعمت الديمقراطية وحمتها من الفوضى ومن الكلام الفاقد لأي مصداقية أو مضمون،كما أنها قد أسهمت في توطيد الديمقراطية الفاعلة، وفتحت من خلالها كل الأبواب أمام حرية التعبير والتفكير والعمل و العقيدة أو الاعتقاد والقول والفعل وهي الحرية التي لا تقيم مثل صاحبها إلا بأثرها العملي في الواقع ، هذا بالإضافة إلى أنها كانت من الفلسفات المتفائلة بالإنسان.

نشير هنا إلي الدور الذي لعبته البروتستانتية (Leprotestantisme) ممثلة خاصةفي الكالفينية واللوثرية (LeCalvinisme, Luther) من خلال إضفاء البعد الديني علي البراغماتية.

نلاحظ أن هذا المفهوم العقلاني والفاعل للحقيقة، وللشك المرتبط بها،هو الذي ساد في العالم الغربي المتقدم، منذ العصور الحديثة، وهو الذي يسود، نأمل أن يسود من جديد في العالم العربي والإسلامي ليتحول عمليا، مثلما هو في البلدان المتقدمة، المدخل الإجباري الأول إلي الحقيقة أيا كانت طبيعة هذه الحقيقة دينية كانت، أو فلسفية، أو علمية، أو اجتماعية.

إن تبني الولايات المتحدة الأمريكية والغرب للبراغماتية كان ولا يزال وراء العديد من أوجه التقدم الفكري والمادي الذي يعرفونه منذ قرون، مثلما يمكن أن تكون وراء التقدم الذي ينشده العالم العربي والإسلامي، وغيرهم من الشعوب، لتمكين العرب، خاصة من فهمها ومن الاستفادة الحقيقة من ايجابياتها وصولا إلي التكيف الأفضل مع الواقع العالمي التي تصنعه البراغماتية اليوم. فهل يمكن زرع مثل هذا النموذج، بنفس النجاح، أو بنجاح مقارب، خارج الولايات المتحدة الأمريكية؟ وصولا إلي فهم أفضل للتقدم الأمريكي وإلي الوقوف علي ما أمكن من شروط لتوظيفها داخل وطننا العربي، بما يتماشي وعقيدته وتراثه، من جهة والتحديات التي لا تزال تجهض طموحاته في مثل ذلك التقدم وذلك التطور المنشودين من جهة أخري. للخروج من تخلفه ولتحقيق تقدم يعتمد علي الفاعلية والتقنية ولكنه لا ينسلخ في نفس الوقت ومثلما فعلت أمريكا عن الدين، الذي لا حياة وكما يلاحظ ابن خلدون بدونه.

فما الدور الذي، لعبه الدين، ولايزال يلعبه، في كل ذلك. وهل يمكن تفعيل مثل هذه التجربة الأمريكية؟ كيف؟ .

1. هو المؤسس الأول للمنهج البراغماتي. ولد سنة 1839 بمدينة"كامبريدج" بالولايات المتحدة الأمريكية. تعلم الرياضيات و غيرها من العلوم الأخرى، خاصة التجريبية منها. شغل بعد ذلك العديد من المناصب، الإدارية و الجامعية، خاصة في جامعة "هارفارد و هوبكينغ".." أسس النادي الميتافيزيقي" لنقد هذه الأخيرة. كتب العديد من الكتب و المقالات حول مذهبه أو منهجه هذا. منها "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" و"تثبيت الاعتقاد"، و"جوهر البراغماتية"...الخ. و قد جمعت أهم أعماله بعد وفاته في ثمانية أجزاء ما بين 1958_1960 تحت عنوان "مجموعة الأوراق" (*Collectedpapers*). توفي سنة 1914.
2. _Deledalle Gérard : La Philosophie Américaine, édit. L'âge d'homme, Lausanne, 1983,P,16.
3. وهي المبادئ التي شكلت منذ سنة 1776 المدخل الرئيسي لوثيقة الاستقلال الأمريكي (The act of indépendance)الدستور الأمريكي الذي تلاه والممثلة في احترام الفردية ...والحرية والديمقراطية وحرية الرأي والعقيدة والفكر والعمل بذلك أكدت كذلك وبالتالي أنها إيديولوجيا وفلسفة النجاح الإنساني اللامحدود..إلا بحدود قدرة الإنسان، نجاح لايلغي العقل من أجل العقيدة، أو هذه الأخيرة من أجل العقل وهذه المبادئ تتعلق بالمقاربة الأمريكية للإنسان وللطبيعة، أن كل الناس ولدوا سواسية،وأنهم خلقوا منذ الميلاد ومنحوا من طرف الله الذي خلقهم حقوقا لايمكن لأحد أن يسلبهم إياها، ومن بين هذه الحقوق حق السعادة، والحياة والحرية.
4. Cf. Morton (W) : La pensée sociale en Amérique, trad. M. Levi, PUF, Paris, sd. أنظر
5. *Cf. Ch.S.Peirce :Collected Papers, diverses éditions, vol.1-8,Cambridge, (Mass), USA,1958.*
6. ***Cf.** P. Foulquié : Dictionnaire de la langue philosophique, PUF, Paris, 1978.*
7. *Gérard Delledale :Ecrit sur Le Signe , Editions Le Seuil , Paris , 1968, P*66
8. حيرش سمية، البراغماتية عند شارل سندرس بورس، مجلة لوغوس، الصادرة عن كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر ، العدد الأول، 2011، الصفحات 50_68.
9. *(C.Tiercelin :***Le doute en question. Parades pragmatistes au défi sceptique,** *édit L'Éclat Paris,2005,p63.*
10. أنظر . حيرش سمية، شارل سندرس بورس بين العقل و التصوف، مجلة الحداثة، بيروت، العدد 139_140، 2011.
11. أنظر: د.نمير العاني:حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البراغماتية، مجلة الطريق، بيروت،العدد السادس،1980.
12. أنظر: د.نمير العاني:حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البراغماتية، مجلة الطريق، بيروت،العدد السادس،1980.
13. القرآن الكريم، سورة الصف، الآية 2.

14. *Hammana Boukhari : La Pensée de Ch. S. Peirce dans le monde arabe d'aujourd'hui communication donnée, le 07 Septembre 1989 à l'université de Harvard, (USA), et publiée par University of Texas,, et par la Revue Algérienne de Philosophie, Institut de philosophie, Université d'Oran, Algérie,1997,no,1*
15. *P. Gauchotte: Le pragmatisme ,Que sais Je ? PUF, 1992,p,28.*
16. *Ludwig Marcuse: La Philosophie américaine, Gallimard,1967,p,64.*